نواح عسكرية وجغرافية في عصر اسماعيل

الجيش المصري

والاستكشاف في أفريقيا

للملازم الاول عبد الرحمن زكي

— ١ —

لما أراد الخديو اسماعيل إعادة تنظيم الجيش المصري رأى انهُ بموزه الاكفاء من الضباط الحربيين والاداريين والمهندسين . فوقع اختياره على نفر من الضباط الاميركيين تأليف هيئة اركان حرب الجيش وعين الجنرال « ستون » رئيساً لها . فانتخب نحو اربعين ضابطاً منهم « لورنج » و« داي » و« شايبه لورنج » و« بروث » و« پوردي » . وبعد قليل من الزمن تمكن « ستون » وزملاؤه من تخريج فئة من الضباط المصريين لهم من المهارة والتدريب على الاعمال ما ملأ صدر الخديو والامة فخراً وإعجاباً . ومن هؤلاء الضباط مختار وواصف وحمدي وفوزي وغيرهم ممن اضاءوا صحيفة تاريخ مصر الحديث في السودان [1]

كانت باكورة اعمال القسم الجغرافي من هيئة اركان الحرب في الجيش المصري استكشاف الصحارى المصرية

في اوائل عام ١٨٧٠ اضطلع الكولونيل ميسون Mason ومعهُ بعض الضباط المصريين بمهمة استكشاف الطرق والدروب الموصلة الى واحة سيوة . وقامت بعثة الكولونيل پوردي "Purdy" عام ١٨٧١ برسم ضواحي حلوان واستكشاف المنطقة التي بين النيل والبحر الاحمر ابتداء من الخط الممتد بين المقطم والسويس الى خط يوازي القصير . وقد استغرقت اعمال هذه البعثة عاماً. وعادت بحقائق وافية عن طبقات الارض وما فيها من مناجم المعادن والمحاجر وعروق الذهب التي عرفها قدماء المصريين في تلك الجهات [2]

وفي عام ١٨٧٣ قام الكولونيل كولستون Colston بكشف الطريق الموصل بين قنا وبرنيقه Berenice على ساحل البحر الاحمر جنوب رأس بناس. وفي هذه المدينة التقى بالكولونيل پوردي

---

(١) فتح افريقية في عهد الخديو اسماعيل للاستاذ محمد رءوف (٢) مصر والجغرافيا تأليف الدكتور فردريك بنولا بك وترجمة احمد زكي باشا — المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣١٠ هـ

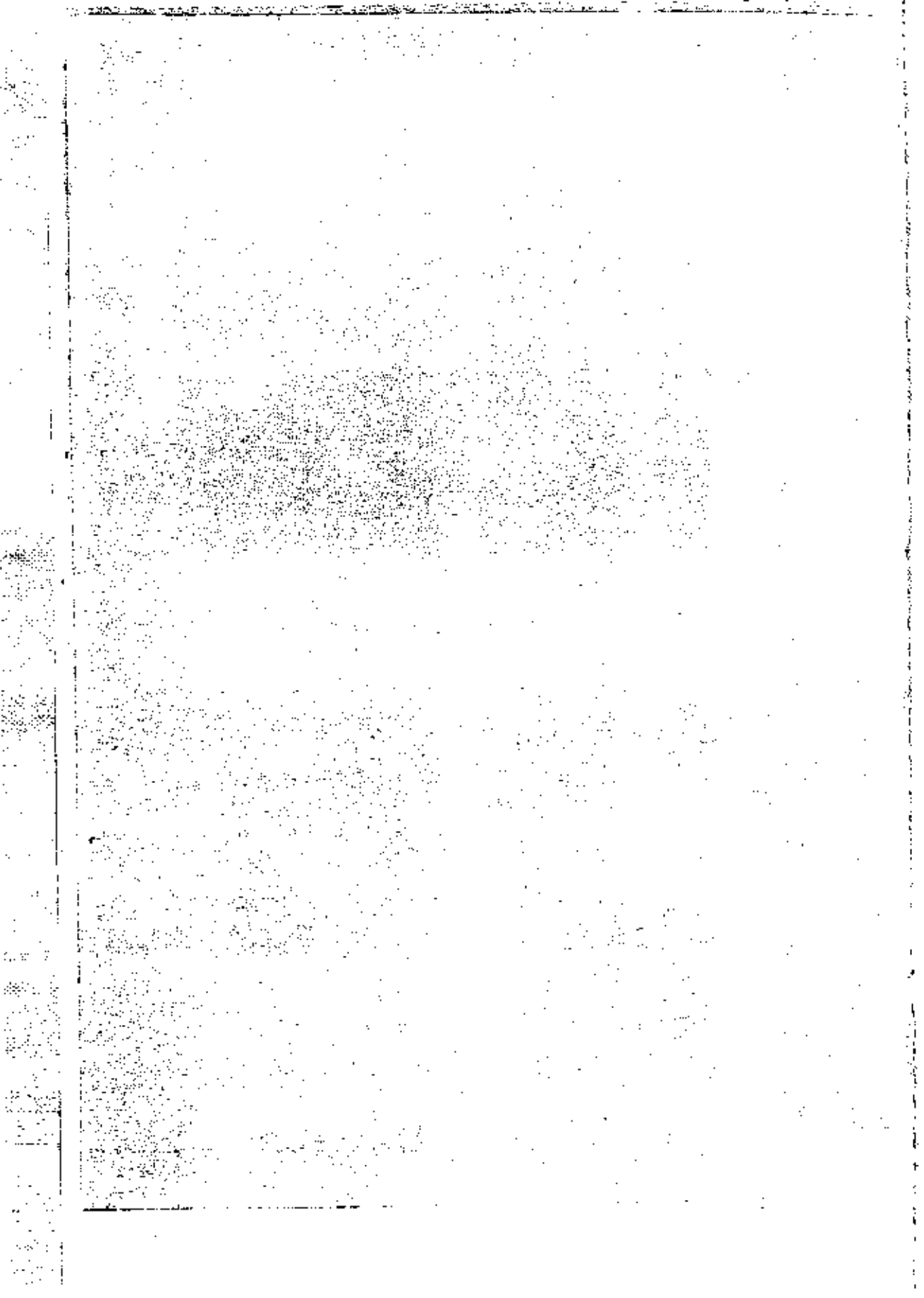

الكولونيل شايه لونج بك

الجنرال ستون

[جميع صور المقال مهداة من الجمعية الملكية الملكية]

قادماً عن طريق البحر الاحمر فاستصحبهُ معهُ في التجول بالبقعة الواقعة بين بربر وبربر للتوفيق بين ابحاثه الجديدة وبين ابحاث لينان دي بلفون التي بدأها فيما قبل ذلك بأربعين عاماً [1]

الاستكشاف في كردفان ودارفور

ولما تمت انتصارات المصرية فتح كردفان ودارفور (١٨٧٤) اصدر الخديو اسماعيل امره الى الجنرال ستون بتنظيم بعثة كبيرة لاتمام الاستكشاف في تلك البقاع . فأنشأ ثلاث بعثات من الضباط كان على رأس البعثة الاولى منها الكولونيل كولستون لارتياد كردفان ثم الانضمام الى البعثة الثانية بعد انتهائه من اعمال بعثته . وتألفت البعثة الاولى من الضباط المصريين :

الملازمين الاول عمر رشدي (باشا) ومحمد ماهر (باشا) وأحمد حمدي (باشا) ويوسف حلمي وخليل فوزي وأربعة ضباط آخرين . وقد لازم هؤلاء القائمقام الاميركي ريد لكنهُ لم يصبر على متاعب الرحلة فعاد الى القاهرة . وقد اصطحب رجال هذه الحملة العالم الوليدي الدكتور بفوند Pfund وتسعين رجلاً . غادرت هذه البعثة القاهرة في شهر ديسمبر عام ١٨٧٤ وسلكت طريق النيل الى وادي حلفا ثم سارت بجانب انشاطىء الايسر الى مدينة الدبّة ثم تجولت في وادي ماتول عن طريق إبلاي وبلغت مدينة الابيض في ١٢ يونيه سنة ١٨٧٥

في هذه الرحلة اصيب الكولونيل كولستن بمرض شديد فاضطر ان يعهد بقيادة الحملة الى الميجور بروت Major Prout قائد الحملة الثانية . وقد ألف كولستون كتاباً لشرته مجلة اركان حرب الجيش المصري كما نشرت له مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية رسالتين ارفقت بهما خارطة عن بيان خط السير الذي اتبعه [2] . ثم تقلد قيادة البعثة المذكورة الماجور بروت . وكان غرضه الوصول الى الابيض عن طريق سواكن والخرطوم ورسم الطريق الذي تخترقه البعثة . وقد انجز مهمته وسافر في يوم ٢١ مارس سنة ١٨٧٦ الى دارفور للحاق ببعثة الكولونيل ردي. وفيما يلي نلخص اهم الاعمال التي اتمها الكولونيل بروت وفريق الضباط المصريين الذين كانوا معهُ [3]

١ — رسم خط سير طوله ٦٠٠٠ كيلو متر عمل بواسطة جميع الضباط متفرقين

٢ — خارطة عمومية لاقليم كردفان مقياس $\frac{1}{600000}$ رسمها بروت والملازمان ماهر وفوزي

٣ — خارطات تفصيلية اهمها خارطة الطريق من سواكن الى بربر بمقياس $\frac{1}{800000}$ رسمها «بروت» وماهر . وأربع مناطق من الطريق بين النيل الى الابيض

---

(١) رسالة كولستون بعنوان يوميات الرحلة من تنا الى بربر المنشورة في العدد التاسع من القسم الثاني من المجلة الجغرافية الخديوية

(٢) تقرير عن كردفان الشمالية والوسطى في مجلد واحد بمطبعة اركان الحرب باللغة الانجليزية

(٣) راجع الطرق من الدبة الى الابيض في العدد الرابع من القسم الثاني من مجلة الجمعية الجغرافية ١٨٨٨

٤ — تعيين سبعة عشر موقعاً بالارصاد الفلكية

٥ — خارطة مدينة الابيض بمقياس $\frac{1}{1000}$ رسمها الضباط خليل فوزي وعمر رشدي ويوسف حلمي

٦ — رسوم شتى وصور متنوعة اهمها خارطة تبين توزيع الغابات في كوردفان

٧ — ملاحظات وبيانات بعلم الجو وطبيعة الاراضي

٨ — مجموعات نباتية وجيولوجية جمعها الدكتور بفوند

٩ — رسائل مفيدة جداً في الكلام عن السكان والتجارة والاخلاق والعادات [1]

وقد اتم الميرالاي پروت اعمال حملته في ثلاث سنوات . ثم قام من الابيض قاصداً الى الفاشر فبلغها في اليوم الرابع والعشرين من ابريل بعد ان رسم الطرق والمسالك التي مرَّ بها [2]

***

اما الحملة الثانية بقيادة الكولونيل پردي Col. Purdy فكان قوامها القائمقام ميسون بك Col. Mason الفلكي والملازمين الاول محمود صبري (باشا) ومحمد سامي وسعيد نصر (باشا) من ضباط هيئة اركان الحرب (قسم الجغرافيا) والملازم الثاني خليل حلمي والطبيب محمد امين واثني عشر صف ضابط وجندي من اركان الحرب. وقد سارت هذه الحملة من دنقلة العجوز الى الفاشر عن طريق جديدة اختطتهُ ورسمتهُ حملة الكولونيل پردي في سنة ١٢٩٢هـ ١٨٧٥م وكانت محفوظة في مكتبة اركان حرب الجيش [3]. ولم تنشر نتائج هذه الحملة الطبية مفصَّلةً . وان كان الكولونيل ميسون قد كتب بحثاً ملخصاً لاعمال الحملة لم يجنِ منهُ علماء الجغرافيا فائدة كبيرة

وقد قطعت البعثة في رحلتها ٦٥٠٠ كيلو متر واستكشفت كل ما مرت به اثناء سيرها وعينت ٢٢ موقعاً فلكيًّا . وقد توفي اثناء هذه الرحلة الدكتور بفوند في اليوم الثاني والعشرين من اغسطس ١٨٧٦ وترك مجموعة نباتية واخرى جيولوجية وكلتاهما حفظت بالجمعية الجغرافية

ورسمت الحملة الطرق الآتية :

الميرالاي پوردي من دنقلة الى الفاشر الى حفرة النحاس

« ميسون من الفاشر حوالي جبل ميدوب . من الفاشر الى جبل مرة . والى

---

(١) راجع التقرير العام عن مديرية كوردفان باللغة الانجليزية المطبوع بمطبعة عموم اركان الحرب عام ١٨٨٧

(٢) راجع خارطة الطريق من الابيض الى الفاشر رسمها الضابطان ماهر وفوزي بمقياس $\frac{1}{1000000}$ فيها خمسة مواقع فلكية والارتفاعات وخارطة الطريق من توجه الى الابيض التي رسمها پروت بمقياس $\frac{1}{1000000}$

(٣) راجع خارطة خط السير من دنقلة العجوز الى الفاشر عن طريق وادي محال الى الكرنك بمقياس $\frac{1}{1000000}$

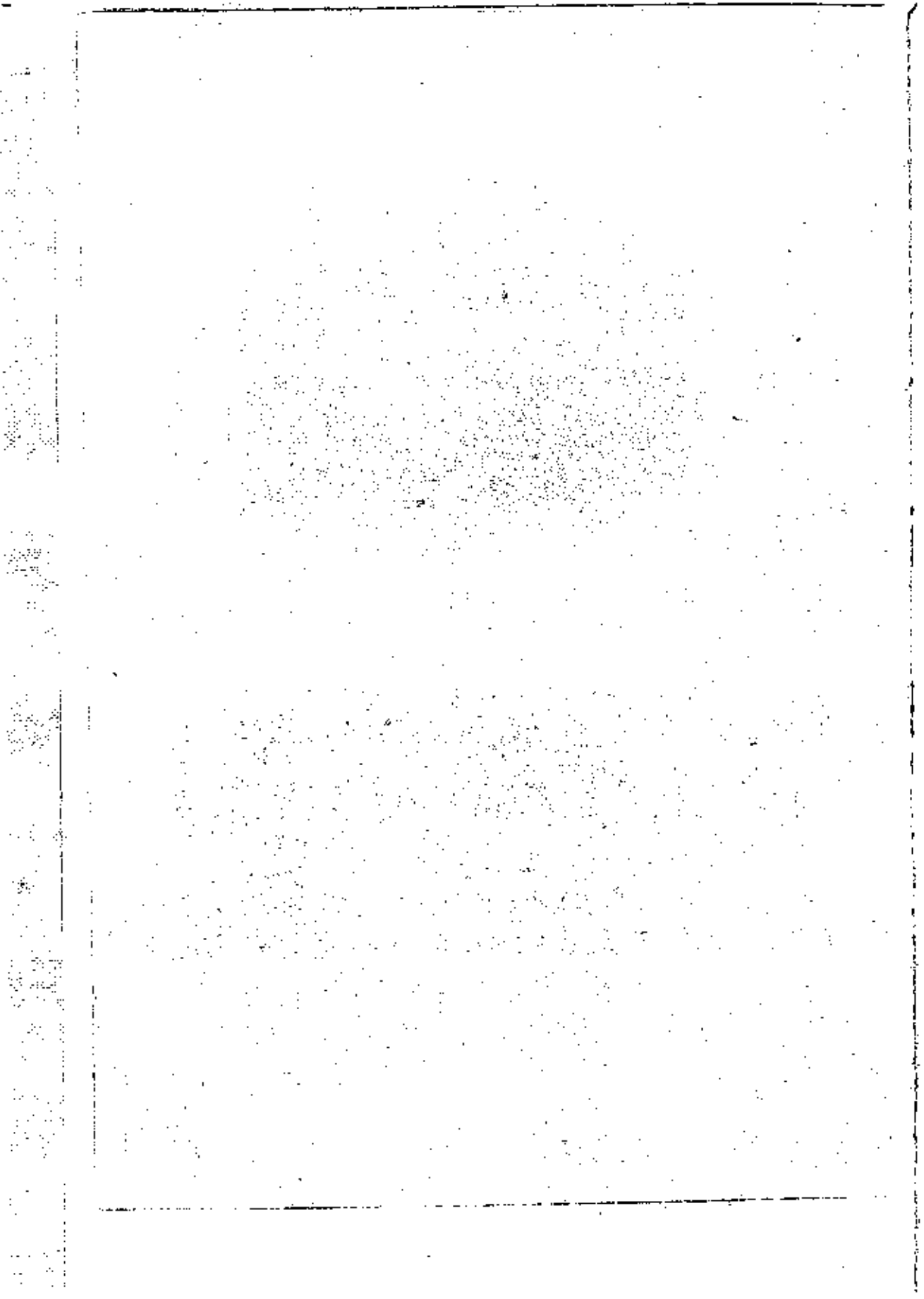

الکوئین کی اسٹون

الکوئین براؤن

	الحدود الغربية للترجمة وغربي جبل مرة من دارا الى شكا والطويشة
الماجور بروت	حول منطقة جبل مرة . وفي جهة الشمال عند قوم الزعارة وقد رسم
	خارطة لها بمقياس ـــــــ
الملازم محمود صبري	في الشمال بجانب محرم دار ثاما في فوجه وقد رسم خارطة للمنطقة
« محمد سامي	شرقي القاشر والطويشة والعودة منهما ورسم خارطة [1]

اما البعثة الثالثة فقد كانت برئاسة المهندس الاميركي ميتشل Mitchell الملحق بقسم اركان حرب الجيش المصري[2] وبصحبته الضابط عبد الفتاح حلمي . وكان غرض البعثة كشف المعادن بين النيل والبحر الاحمر . وقد كشفت مناجم الذهب في « الحمامة » شمالي قنا ثم عرجت بثغور البحر الاحمر وخليج عدن كالقصير ومصوع وتاجورة وزيلع . وأوغلت في الداخل ثم عادت الى مصوع وكشفت الجهات الشرقية من الحبشة [3]

ورسم البكباشي محمد عزت احد ضباط حملة منزنجر باشا خارطة للجهات الواقعة بين باجورة وبحيرة عوسا بالحبشة

فتح هرر واستكشاف اقليمها

وبينما كانت اعمال الاستكشاف الجغرافية سائرة بنشاط في غربي السودان كانت القوات المصرية قد اخضعت هرر فأصبحت متفذاً للحضارة الحديثة الى اواسط افريقيا . ولاسيما بعد ما تنازلت تركيا للحكومة المصرية في منتصف عام ١٨٧٥ عن مدينة زيلع مقابل اتاوة سنوية

وفي العام المذكور كان اللواء رؤوف باشا قد اعدّ حملة عسكرية نجحت في اخضاع اقليم هرر وظل العلم المصري يخفق على ربوع تلك البلاد الى مارس ١٨٨٤. [4]

وكان تزامناً عقب هذا الفتح العسكري ان تعقبه البعثات العلمية لدرس تلك الاقطار الجديدة وارتياد طرقها وجبالها وانهارها وخيراتها الطبيعية

ولسنا نبالغ مطلقاً اذا قلنا ان نصيب مصر من الاعمال التي تمت في ميدان البحث الجغرافي في افريقيا الشرقية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مجهول لدى الباحثين الاوربيين الذين عنوا بتاريخ الكشف . فقد خلف لنا رجال الكشف المصريين تراثاً نفيساً من الاعمال

---

(١) راجع مصر والجغرافيا ص ٥٤ والتعليقات المذكورة رقم ٥ و٦ و٧

(٢) راجع تقريره عن أعمال هذه البعثة في مجلة الجمعية الجغرافية المذيوية مجموعة ١ عدد ٦ — اكتوبر سنة ١٨٧٩ ص ٧ و١٥ (٣) عبد الرحمن الرافعي — مصر اسماعيل — الجزء الاول . ص ٢٢٨

(٤) راجع الكلام على سيادة مصر في بلاد هرر بقلم المؤرخ البولندي « بولتشك » في العدد الحادي عشر من القسم الثاني من مجموعة الجمعية الجغرافية الخديوية

الجغرافية التي لا تعثر بأي حال من الاحوال قليلة . وتثبت هذه الاعمال لنا بدون ادنى شك سبق الرواد المصريين الى فتح داخلية بلاد الصومال وحصولهم على معلومات جغرافية نفيسة

فانهُ لما خضعت سنار وزيلع للرقابة المصرية سهل لمصر ان تتصل بسكان داخلية البلاد. وتم لها اخضاع هرر فأعادت فتح الطرق التجارية القديمة. فكانت النتيجة ان اصبحت مصر على اتصال قريب بجنوبي شرقي الحبشة . وهذا يشبه ما تمَّ عندما احتلت مصوَّع فأخذت السيادة المصرية تتسرب ايضاً الى الجزء الشمالي الشرقي من تلك المملكة . وفي ذلك الحين كان النفوذ المصري يمتد ببطء الى الجنوب حتى اصبح مداه في النهاية الرقابة على كل ساحل الصومال الى الجنوب حتى ميناء كسمايو ونهر جوبا . وفي جميع الحملات كانت التحقيقات العلمية تسير بجانب العمليات الحربية المصحوبة بالتغلغل السلمي . وقد سعى رجال القسم الجغرافي من هيئة أركان الحرب في الجيش المصري ليجعلوا اسم مصر وهاجاً في العالم العلمي وللاخذ بيد الحضارة في فتح ميادين جديدة للتوسع (١)

ولم تكن جهود هؤلاء الضباط الشبان الحربيين مقتصرة على شرقي افريقية بل أنها امتدت واتخذت سبلاً متعددة الى داخلية مناطق السودان الشاسعة والى المناطق المجهولة حتى الآن من أعالي النيل . ولقد سجلت معظم أعمال الكشف الاولى ما تركهُ لنا هؤلاء الضباط من تقارير ورسائل وابحاث وخارطات لم ينشر كلها . وإن كانت الجمعية الجغرافية نشرت منذ سنين (٢) بحثاً نفيساً لاعمال مصر الجغرافية التي تمت في القرن التاسع عشر . وعلى الرغم من خلو هذا البحث من التمحيص لاختصاره الاَّ انهُ القى ضوءاً على ما بذل من النشاط في ميدان الطبوغرافيا ورسم الخارطات . ورسم صورة واضحة للعمل العظيم الذي تم في البلاد التي كشفت ومسحت

ولنبدأ اولاً بالاشارة الى الدراسات الجغرافية الجدية التي اشترك في القيام بها الضابطان المصريان البكباشي محمد مختار والصاغ عبد الله فوزي في هرر وساحل الصومال لتستطيع الحكم على نوع العمل العلمي الذي اتم الاثنان جزءاً كبيراً منهُ في ذلك الوقت لولا انهُ اوقف فجأة نتيجة للحوادث السياسية في مصر عام ١٨٨٢ (٣)

وبعد فانهُ يظهر لنا ان الكتاب الاوربيين لا يعلمون شيئاً عما انجزه المكتشفون المصريون في افريقية وذلك على الرغم من ان معظم بحوث الضباط نشرت باللغتين العربية والفرنسية في حينها . وكان

(١) Mustafa Amer: Some Unpublished Egyptian Maps of Harrar مجلة الجمعية الجغرافية الملكية — مجلد ١٩ . ص ٢٨٦—٢٩٩ عام ١٩٣٧ . وهذا البحث مرجعنا الاساسي في كتابة هذا الموضوع

(٢) F. Bonola Boy : L'Egypte et la Geogrphie Le Caire 1890 مترجم الى اللغة العربية أيضاً بقلم المغفور له احمد زكي باشا

(٣) راجع مقالاتهما في مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية (بالنص الفرنسي) ومجلة اركان الحرب العامة للجيش المصري باللغة العربية

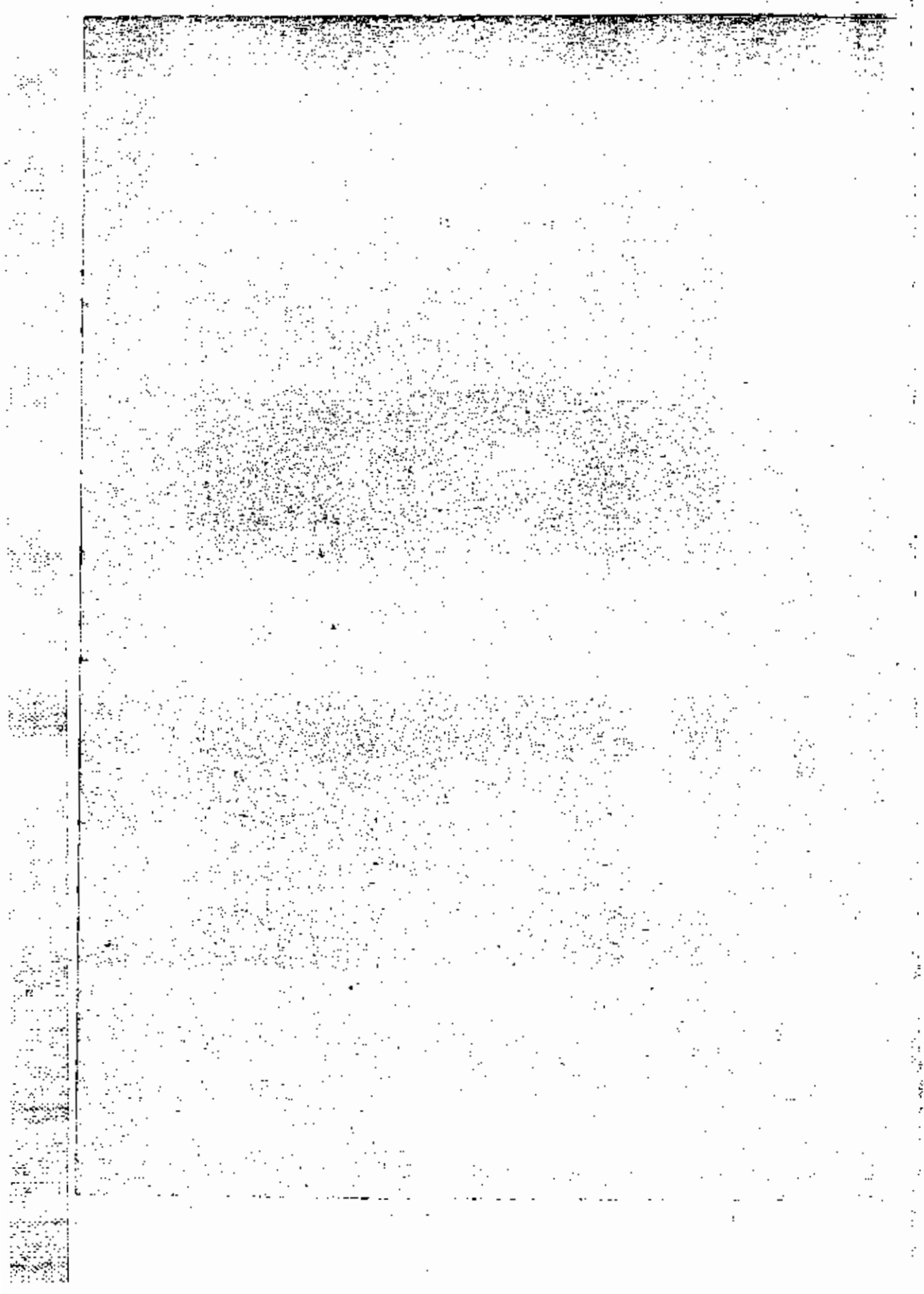

الكولونيل شايه لونج بك

الجنرال ستون

[جميع صور المقال مهداة من الجمعية الخيرية الملكية]

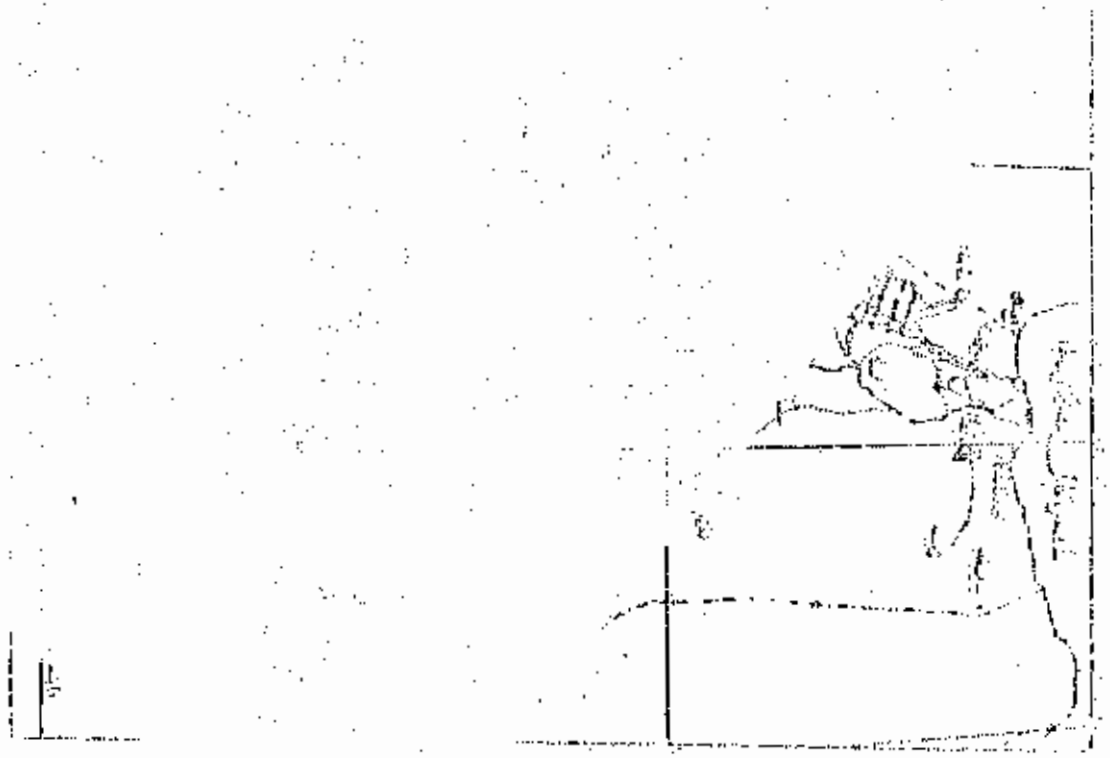

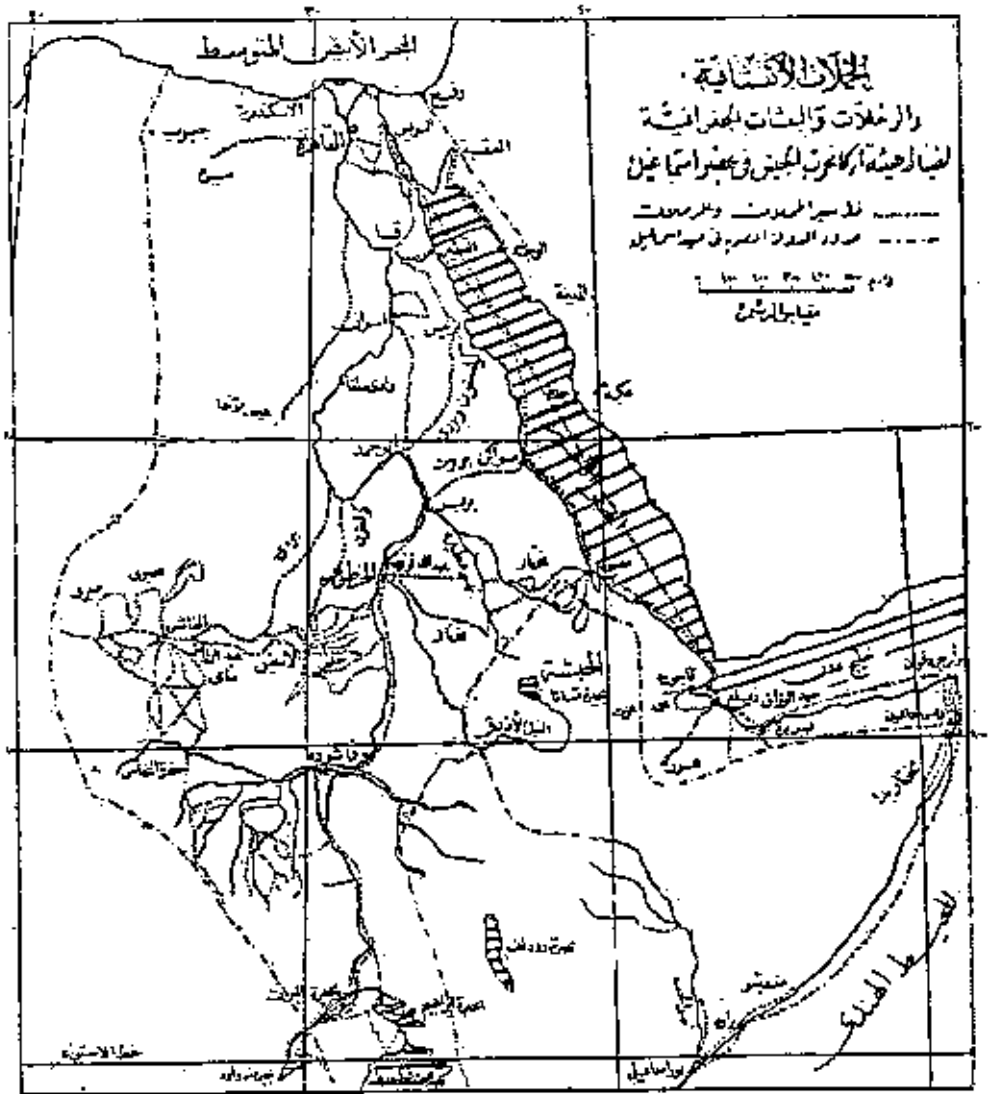
الرحلات الانسانية
والرحلات والبعثات الجغرافية
لقياس هيئة أرض الحبش وبعض أسماء جبالها
مقياس الرسم
البحر الأبيض المتوسط
الاسكندرية
القاهرة
السويس
مكة
عدن
الحبشة
البحر الأحمر
خط الاستواء

هؤلاء الكتّاب قد ارتبطوا بمحالفة للصمت وعدم التحدث عنها او انهم يتعمدون الجهل بها. ومع ذلك فلا يفقد الحق ناصريه . لاننا نستثنى من هذا الحكم اوربيّين شهدا بالجهود العلمية التي قامت على اكتاف ضباط الجيش المصري وأولها الدكتور بوليتشه (Dr. P. Paulitsche)[1] الذي زار هرر بعد خروج القوات المصرية منها مباشرة وانصف الادارة المصرية في تلك البلاد كما نوه في كتاباته عما للعمل الجغرافي الذي انجزه الضباط المصريون ولاسيما البكباشي مختار من الشأن الكبير. وثانيهما العالم الايطالي روبتشي بريشتي (L. Robecchi Bricchetti) الذي زار هرر فيما بعد وأدرك عمل مختار وأعوانه[2]

ولقد ترك لنا الضباط المصريون بجانب ملاحظاتهم وتقاريرهم وأوراقهم مجموعة نفيسة جداً من الخارطات ما زال البعض منها محفوظاً للآن . وهي بدون أدنى شك ليست الخارطات الاولى من نوعها. لكنها في الحقيقة هبة ثمينة في علم الخارطات . فقد كان كشف المنطقة الواقعة بين بحيرة وعضبة الحبشة والسلسلات الجبلية ضد الحبشة خير وسيلة لامداد علم الجغرافية بانواع المعرفة المفيدة وأهمها عدد وفير من الرسوم والتخطيطات الكروكية . ونذكر في هذا الصدد بيان خط السير الى بحيرة عوسا الذي عمله الضابط محمد عزت سنة ١٨٧٥[3] وعمل الضباط ضياء ونظمي وبجدي على حدود الحبشة في عام ١٨٧٥[4] . ونذكر ايضاً خارطة المكتشفات العسكرية على الحدود الشمالية للحبشة التي اشترك في عملها ستة من ضباط الجيش (١٨٨٠ — ١٨٨١) لما كان اللواء راشد باشا حكمداراً لمناطق الحدود[5]

ومن الخارطات المهمة — خارطة زيلع وضواحيها التي رسمها مختار وفوزي (١٨٧٥)[6] وخارطة بربر وضواحيها التي رسمها الضابط عبد الرزاق نظمي وآخرون[7] ثم خارطات البكباشي مختار الخاصة برأس جردفوى بمقياس ١/٥٠٠٠٠ (١٨٨٠) ووادي طحين ومناطق هندوبتا[8] وأخيراً تخطيط نهر جوبا وتصحيح خارطة ساحل الصومال الذي تم على يد الضباط حسين واصف وعبد الرزاق وصديق وجميعهم كانوا من ضباط حملة ماكيلوب باشا

(١) P. Paulitsche : Le Harrar sous l'Administration Egyptienne (1875-1885), Bull. de la Soc. Geog. Le Caire, No. 10. pp. 575-591.

(٢) L. R. Bricchetti : Nell Harrâr, Milan 1896, pp. 28 and 114

(٣) Dor Bey : Werner Munzinger Pasha. Bull. 1876, Serie I. No. 1 pp 124-127; Bonola : p. 61

(٤) مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية — المجموعة ٢ رقم ٨ ص ٣٨ عام ١٨٧٦ ورقم ٩و١٠ ص ٤٣ — ٧٦

(٥) Bonola — ص ٧٤ — خارطة باللغة العربية وتحتوي على ثلاث لوحات مطبوعة في المطبعة الاهلية بالقاهرة

(٦) مجلة أركان الحرب — السنة الثالثة — مجلد ١ — جزء ١ — القاهرة ١٨٧٦ ص ٢٩ — ٣٥

(٧) مجلة الجمعية الجغرافية — السلسلة ٢ — رقم ٧ ص ٣٤٩

(٨) مجلة الجمعية الجغرافية — السلسلة ١ — رقم ٨ ص ٢٩ — ٤٢ ورقم ٩و١٠

والكولونيل شايه لوج [1] وكان من نتائج تهديد لورد دربي للخديو اسماعيل (يناير ١٨٧٦) ان اعمال هذه الحملة لم تتم كما كان ينتظر

وكان قوام هذه الحملة باوجنين حربيتين مصريتين وهما محمد علي ولطيف وسفينتين نقالتين — طنطا ودسوق — وثمانية بلوكات مشاة وبلوك خيالة وآخر من المدفعية . وقد اقلعت السفن المذكورة من السويس في يوم ١٧ فبراير ١٨٧٥ فوصلت الى مصب نهر جوبا وتمكن شايه لوج من استكشاف البلاد الكائنة على ضفتي النهر مسافة ١٥٠ ميلاً بزورق بخاري ورسم اليوزباشي حسن واصف الذي كان رفقته مجرى النهر . ووقفت هذه الحملة لتصحيح خرطة سواحل الصومال واستكشاف مباني كيايو (بور اسماعيل) ودنفورد على المحيط الهندي وسبر اعماقهما بمعرفة الكولونيل وارد واليوزباشي صديق وضابط آخر من اركان حرب الجيش [2]

وقد تعاون ضباط القسم الجغرافي بعضهم مع بعض فأخرجوا خارطتين عامتين عن مصر وملحقاتها: كان مقياس الخارطة الاولى ——— وقد عرضها مندوبو مصر في المعرض الجغرافي الدولي الذي عقد في البندقية في سبتمبر ١٨٨١ [3] والخارطة الثانية مقياسها ——— احتوت على جميع المعلومات التي جمعت في خلال الاعوام الثمانية عشر للفتوحات والاكتشافات والدراسات المصرية ومما يؤسف له ان هذه الخارطة قد ضاعت لما سقطت الخرطوم في أيدي المهديين [4]. ومن الآثار النفيسة التي خلفها القسم الجغرافي ذلك المصور العظيم لافريقيا (Carte General de l'Afrique) وليس هناك ادنى شك في ان هذه الخارطة المفصلة الفخمة خير ما انتجه ضباط اركان حرب الجيش عام ١٨٧٧ . وهي أدق خارطة عرفت الى ذلك الحين اشترك في رسمها كل من الامير الاي لوكيت والقائمقام مختار بك والصاغ عبد الله فوزي وعبد الرزاق نظمي والضباط محمود صبري وأحمد فائق (باشا) وأحمد فهمي وحسن حارس (باشا) وحسن صفوت وابراهيم حلمي ومحمد جودت ومحمد خير الله ويوسف ضياء (باشا) وعلي حيدر (باشا) واحمد رشيد [5]

ومن حسن الحظ انه ما زالت النسخة الاصلية لهذه الخارطة محفوظة في قصر عابدين في احد ابهائه العظيمة . وكان المغفور له جلالة الملك فؤاد قد امر باعادة طبعها واخراجها في نصف حجمها الاصلي . فنفذت ارادته بهمة رجال مصلحة المساحة المصرية . واخرجت الطبعة الاولى عام ١٩٣٠ ثم اعيد طبعها بتهذيب وتحسين واخرجت عام ١٩٣٤ [قبعت تتمة]

---

(١) Bonola, 66-66 et 72 ; M. Sabry, L'Empire Egyptien sous Ismail, Paris 1933, p. 397-398

(٢) عن ملكوات مخطوطة أرسلها الكولونيل لوج الى الدكتور بونولا . ومقالة أخرى نشرتها له الجمعية الجغرافية الاميركية الصادرة سنة ١٨٧٨ وعنوانها « على نهر جوبا » (٣) مجلة الجمعية الجغرافية الملكية — القاهرة ١٨٨٢ — السلسلة ٢ رقم ١ ص ١ — ٢١ (٤) Bonola : p 73 (٥) عبد الرحمن الرافعي — عصر اسماعيل — الجزء الاول ص ١٨٠